اللغة العربية وتعزيز المواطنة الرقمية

د. عبد الكبير علاوي

إن للغة العربية تأثيرا كبيرا في ترسيخ روح المواطنة، وتكريس الانتماء، فلا يخفى على ذي لب ما لها من أهمية عظمى في توحيد أبنائها إن هم تمسكوا بها، والإنسان بطبيعته منتم، فلا يستطيع أن يشكل وجوده أو يعيش حياته بمعزل عن الآخرين، والواقع المشترك يفرض هوية مشتركة، وأي تصدع في جدار الانتماء لابد أن يصدر تصدعات واسعة في جدران الهوية والمكان واللغة، في ظل تحديات العصر وثورة المعلومات والاتصال ووسائل الإعلام التي جعلتنا في أمس الحاجة إلى تعزيز القيم الأخلاقية، والهوية الوطنية للمتعلمين، لأنها سبب في تماسك المجتمع وتقدمه، ودوام حضارته ونموه، وعليه إن حماية اللغة العربية من هجمات العولمة واجب ديني ووطني في آن واحد، ومن واجب الأمة العربة حماية لغتها وتراثها، وبيان الجوانب المضيئة في حضارة أمتنا وتاريخنا.

إن نشر ثقافة المواطنة الرقمية بين أفراد المجتمع يمكن أن يتم من خلال التربية المنزلية والمناهج التعليمية، وهي ثقافة تضمن الحماية الرقمية من الجرائم الإلكترونية والحروب الرقمية والتخريب الإلكتروني والأضرار الصحية والاجتماعية والاقتصادية التي تنتج عن الاستخدامات غير الرشيدة للتكنولوجيا، لأن الحاجة ماسة إلى متعلمين مسلحين بعقلية ناقدة إبداعية، تمكنهم من التعامل مع جميع الأشكال التقنية الموجودة لإعداد مجتمع رقمي يتحلى بقيم المواطنة والهوية الوطنية.

جهاز مفاهيمي:

التربية على المواطنة عملية متواصلة لتعميق الحس بالواجب اتجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، وغرس حب النظام والاتجاهات الوطنية والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين، واحترام النظام والتعليمات، وتعريف الناشئة بمؤسسات بلدهم.

الهوية الوطنية هي الشعور القومي والانتماء الفعلي لأمة من الأمم أو لشعب من الشعوب، إنها مجموع السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو مجتمعا أو وطنا معينا من غيره. إنها تلك الحصيلة المشتركة من العقيدة الدينية واللغة والتراكم المعرفي وإنتاجات العمل والفنون والآداب والتراث والقيم والعادات والتاريخ والأخلاق ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات.

تشخيص واقع اللغة العربية واستشراف مستقبلها:

تتراكم الأسئلة حول اللغة العربية يوماً بعد يوم لترصد قضايا وإشكالات جديدة ومتنامية باطّراد تظهر خطورتها في هذا الظرف الدقيق نتيجة جملة من التراجعات التي تعرفها لغتنا. فإذا كانت اللُّغة العربية أقدمُ تجليات الهويَّة، مُوحِّدة وجامعة في كل المجتمعات، فإنها وسيلة تواصل وأداة تفاهم، ذات أدوار طلائعية وجذور تاريخية، ضامنة للمحافظة على المقومات الدينية والوطنية والتاريخية والحضارية.

إن مفاهيم مثل الهوية الوطنية، والمواطنة الرقمية، والانتماء ...تحيل على شبكة مفاهيمية أوسع تؤطرها سياقات متعددة سياسية ودينية ونفسية واجتماعية، عربية وإسلامية وإنسانية وكونية. وما يمنح هذه المفاهيم قوتها وسلطتها في مختلف المرجعيات المحددة لها **قيمة استعمالها** وجدوى وفعالية حضورها ليس في التشريعات والخطابات فقط، وإنما في الفكر وفي الممارسات اليومية بالأساس.

- **مفارقات جوهرية:**

من هذا المنطلق نشير إلى **مفارقات** جوهرية باعتبارها تحيل إلى المسافة الفاصلة بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون، وأهم هذه المفارقات:

1-مفارقات في الخطاب

2-مفارقات في الوضع اللغوي

3-مفارقات في ممارسة القيم

المفارقة في الخطاب

- على مستوى خطاب الإصلاح: برامج إصلاحية في التعليم ومخططات وبرامج تمحورت حول (التعريب – لغة التدريس – تدبير الوضع اللغوي-...). دون أثر لبرامج الإصلاح في الواقع والممارسة، مما يفقد هذه المشاريع الإصلاحية مصداقيتها ويقلل من ثقة المواطن بها.
- على مستوى نوعية الخطاب: الخطاب حداثي و الممارسات تقليدية، خطاب موسوم بالتمويه والعمومية وغياب أجرأة مضامينه وتفعيلها... ، وهذا يؤدي حتما إلى الانتقائية من جهة وإلى الإقصاء من جهة ثانية، وإلى الخلط والاضطراب ، وإلى الارتجال والمسارعة نحو تبني النماذج الغربية المستوردة واستنباتها في بيئة غير مؤهلة لاستدماجها.
- الخطاب حول المدرسة قائم بدوره على مفارقات في عدة مستويات: تظهر في المفارقة بين القول و الفعل(خطابات نظرية لا تجد طريقها للممارسة الفعلية بدليل تضخم لغة الأرقام و ضعف المردودية ونوعية المخرجات من جهة، وعدم التطابق بين القيم الملقنة في المناهج الدراسية والقيم السائدة في المجتمع بدليل تفشي مظاهر العنف- الغش – التحرش الجنسي– واستباحة فضاءات المدارس والإهانات التي يتعرض لها بعض الأساتذة في الفصول الدراسية وخارجها... ،

المفارقات في الوضع اللغوي

- مفارقات في **تدبير التعدّد اللغويّ** نتيجة هيمنة اللغات الأجنبية واستبعاد اللغة العربيّة عن الإدارات والقطاعات الحيويّة والمنتجة التي لها تأثير كبير في الحياة الاجتماعية، وعدم وجود سياسة لغويّة واضحة وتخطيط لغويّ استراتيجي له أبعاده ومقاصده وغاياته. ممّا يجعل اللغة العربيّة تستبعد عن وظائفها، وتوكل تلك المهام للغة الأجنبيّة بدعوى عدم قدرة اللغة العربية على مواكبة العصر وصعوبة تعلمها، فتفعل اللغة الأجنبية فعلها في المجتمع وفي الثقافة وفي الهويّة، ومن ثمّ، يتعطّل دور اللغة العربية في التنمية بتهميش دورها في إنتاج المعرفة الذي تتأسّس عليه التّنمية.
- التنكر للغة العربية وإبعادها عن مسارها التاريخ والعلمي والحضاري والقيمي ، وترسيخ تمثلات مغرضة وخاطئة لدى المتعلمين مفادها صعوبة اللغة العربية وعدم قدرتها على التعبير عن روح العصر ومخترعات العلم والتكنولوجيا...
- وضع اللغة العربية في برامج التعليم ومناهجه بين التعليم العمومي والتعليم الخاص (تباين في عدد حصص التدريس – ضعف المعامل – الامتحانات الذاكرة والحفظ الحرفي للمعلومات، و غياب تخصيص حصص لتعليم العربية في بعض مؤسسات التعليم الخاص وتعويض حصصها بالمواد العلمية.

مفارقات في القيم

إن **انهيار 'نسق القيم "**خارج المدرسة وداخلها، وفي مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية يشير إلى صراع القيم بين خطاب يدعو الأمانة والاستقامة والسلوكات المدنية والأخلاق، وبين واقع يتفشى فيه الغش ويتفاقم العنف وتزداد مظاهر التحرش، والإفلات من العقاب ...، فضلا عن المفارقة بين القيم السائدة في الفضاءات المستقطبة لاهتمامات الشباب وما تقدمه عوالم مواقع التواصل الاجتماعي ، وبين ما يجده الشباب في فضاءات الأسرة والمدرسة من عوامل محبطة أو منفرة غير حاضنة لتطلعاتهم وغير ملبية لاحتياجاتهم ... فيكرس هذا الوضع في العديد من مكوناته أزمة المصداقية والثقة وأزمة الانتماء اللغوي والهوياتي.

أمام هذا الركام من المفارقات تواجه اللغة العربية اليوم تحديات وأسئلة مصيرية حول مستقبلها وحضورها الفاعل في مجتمع المعرفة ، ودورها الهوياتي والحضاري، من هذه التحديات

1- هو لغوي يبدو في انقسام أبناء اللغة العربية أنفسهم (بين من يدافع عن لغة الهوية والحضارة والعلم والثقافة ، ومن يدافع عن لغة المستعمر ومن يدعو للتلهيج ...)، و تهميش اللغة العربية بدعوى عدم وفائها باحتياجات متكلميها وعدم ارتباطها بالعصر وبمجتمع المعرفة فيتم استبعادها مقابل استعمال الأنماط المستوردة التي تعبر عن مختلف مجالات الحياة اليومية من إعلانات وترفيه ورياضة وتسلية وموسيقى وفن وتعامل مع التكنولوجيا الرقمية وأدواتها... وتقديمها باللغة الأجنبية.

2- غياب البعد التدبيري الذي يرتبط بتعثر برامج التعريب التي لم تسفر عن النتائج المتوقعة منها ولم تحقق الأهداف التي رسمت لها.

اللغة العربية في هذا الخضم تواجه **تحديات** وجودية تحتاج لتجديد أشكال المصداقية.

فأي استراتيجيات للتصحيح، وتجاوز الوضع القائم بمختلف مفارقاته **؟**

من أجل حكامة لغوية:

1. التعجيل بحماية اللغة العربية وصيانتها، باعتبارها مطلبا استراتيجيا لتحصين مقومات الهوية الوطنية. واستخدام اللغة العربية في المؤسسات الرسمية وفي المراسلات، والإعلانات وفي وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب...
2. زيادة وعي المواطن بلغته، و ربطه بتاريخ أمته ماضيا وحاضراً ومستقبلاً.
3. نشر الوعي بالمواطنة اللغويّة، وتحقيق أسس الأمن اللغوي وتشجيع مشاريع التنمية اللغوية وتعزيز الانتماء اللغوي لدى الشباب.
4. تفعيل دور وسائل الإعلام البالغ الأهمية في تحسين مستوى المواد والبرامج المقدمة باللغة العربية الورقية والرقمية وتوجيهها لترسيخ قيم المواطنة وتشجيع الإبداع والابتكار.
5. الحاجة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في المدارس وتنويع مناهج تعليمها وتجديد برامجها، وتوفير العدة الرقمية المناسبة لتجديد طرق واستراتيجيات تعليمها وتعلمها، وإغناء محتوياتها بالأنشطة والممارسات الداعمة للهوية الوطنية باللغة العربية.
6. تحسين البيئة المدرسية وتأهيل الموارد البشرية، والاهتمام بالتكوين الأساس والتكوين المستمر للمدرسين خاصة في مجال آليات التمكين من المهارات والكفايات اللغوية، وتعزيز قيم المواطنة وتحصين الذات الوطنية.
7. تدبير الشأن اللغوي بابتكار الخطط وإعداد المشاريع، وإنجاز الدراسات التي تيسر اللغة العربية وتحمي الهوية العربية من الاندثار ، وذلك بوضع آليات لمواجهة الغزو اللغوي بالتحصين العلمي والمعرفي والقيمي.

الحاجة ماسة إذن إلى حكامة لغوية جيدة و مخطط لغوي يتعامل مع هذا الوضع من منظور مستقبلي بما يستلزمه من عدة معرفية متجددة مواكبة للعصر ومستجداته، وعتاد قيمي وطني وعربي، وإلا بقينا لقمة سائغة و" مطمعاً للاستعمار الجديد يفترسنا بضراوته التكنولوجية، و يحولنا إلى متحفً إثنولوجي لإمتاع متذوِّقي العتيق، و يجعلنا لوحة فولكلورية لتسلية السياح,

1- فلسفة التصور المقترح.

تشتق فلسفة التصور المقترح من أهمية المرحلة الأولية والابتدائية في غرس القيم المختلفة في سن مبكر، ولهذا يحتاج المتعلم الى دعم لغوي وتعزيز قيمي من خلال ظهور التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على المجتمع؛ الأمر الذي يقتضي إعداد برامج تعمل في نفس الوقت على تنمية المهارات اللغوية واكتساب قيم المواطنة الرقمية والهوية الوطنية المناسبة.

- وضع سياسة عامة لتطوير مناهج التعليم الأولي والابتدائي تتضمن برامج لتنمية قدرة المتعلمين على التواصل الفعال النشيط والهادف باللغة العربية.

- تقديم دورات تكوينية وورشات للمؤطرين لنشر ثقافة المواطنة الرقمية بين المتعلمين بلغة عربية سليمة ومشوقة.
- إشراك أولياء الأمور والمدرسين في تحبيب اللغة العربية، وكيفية استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة.
- توسيع دائرة استعمال الوسائل الرقمية والبرمجيات في تدريس اللغة العربية وتشجيع مشاريع إنتاج البرامج باللغة العربية بطريقة آمنه ومفيدة، وفي ذلك تعزيز للمواطنة الرقمية للمتعلم.

محاور التصور المقترح.

يتضمن التصور المقترح مجموعة من الأنشطة يستوعبها برنامج من أجل أجرأته على أرض الواقع:

- ✓ **دراسة نظرية لأدبية البحث.**
- ✓ **بناء أدوات البحث.**
- ✓ **دراسة البحوث والدراسات السابقة المتعلقة بمدى تأثير اللغة العربية على القيم الوطنية خصوصا في العصر الرقمي.**
- ✓ **إعداد قائمة أولية بقيم المواطنة في ضوء أدبية البحث والدراسات السابقة.**

تقديم برنامج يساعد المتعلمين على:

- ✓ **أن يكونوا مواطنين مطلعين وعميقي التفكير، يتحلون بالمسؤولية،**
- ✓ **تمكين المتعلمين من اكتساب الهوية اللغوية والوطنية، ومدركين لحقوقهم وواجباتهم.**
- ✓ **تطوير مهارات الاستقصاء والاتصال.**
- ✓ **تطوير مهارات المشاركة والقيام بأنشطة إيجابية ومسؤولة.**
- ✓ **تعزيز نموهم الروحي، والأخلاقي، والثقافي، وأن يكونوا أكثر ثقة بأنفسهم.**
- ✓ **تشجيعهم على لعب دور إيجابي في مدرستهم وفي مجتمعهم وفي العالم.**
- ✓ **إعداد البرنامج في صورته الأولى.**
- ✓ **عمل دراسة استطلاعية لتقييم البرنامج؛**
- ✓ **تحديد فعالة البرنامج المقترح في تنمية قيم المواطنة في علاقتها باللغة العربية..**
- ✓ **تطبيق البرنامج المقترح على المجموعة التجريبية.**
- ✓ **جمع النتائج ومعالجتها إحصائيا وتفسيرها وتحليلها، وتقديم التوصيات والمقترحات في ضوء ما أسفرت عنه النتائج.**
- ✓ **اكساب المتعلمين قيم المواطنة الرقمية المناسبة، والتمكن من استخدامها بطرقة جيدة.**

الأساليب الإحصائية:

- ✓ استخدام بعض الأساليب الإحصائية في حساب الصدق والثبات لأداة البحث المستخدمة في البحث كمعامل الثبات ألفاكرونباج.
- ✓ الأساليب الإحصائية في التحقق من صحة الفروض مثل المتوسطات، والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة.
- ✓ معدل الكسب من خلال برنامج معالجة الحزم الإحصائية SPSS.

المراجع:

–المنجرة المهدي، قيمة القيم، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 2007
–محمد السعدي، الهوية من الوحدة إلى التعدد، آفاق المستقبل، العدد7 / السنة2010.
–عبد الله بن مسلم الهاشمي، دور منهاج اللّغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية ومواجهة تحديات العولمة، مؤسسة الفكر العربي: المكتبة الرقمية،2010م
–مجلة اللسان العربي، منشورات مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 23، السنة 2012.